D: De 5171

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4171/fragment/page=00000002

خرابات سورية

BIBL.
SOCIORIEN.
GERM.

BIBL.
SOCORIEN.
GERM.

خرابات سورية

تاليف

خليل افندي الخوري

خطاب تلاه على محفل العمدة الادبية
في بيروت في ١٥ ادار سنة ١٨٥٩

طبعة جديدة

طبعت بالمطبعة السورية في بيروت سنة ١٨٦٠

خرابات سورية

المقدّمة

واذا نظرت الى البلاد راينها
تشقى كما تشقى العباد وتسعدُ

ان من يطلق نظره الان على سطح سورية لا بد من ان يتاثر بحساسات الاسف على ما الت اليه حظوظ مدنها الشهيرة . اى فكر لا يتطاير فى عالم الاحلام ولا يتصاعد الى اسمى درجة من التاملات حينما يشاهد اثارها العديدة التى لبثت تنبى عن عظمتها الاولى . اى نظر لا تستوقفه تلك البنايات البديعة الاتقان والاعمدة الهايلة التى بقيت مطروحة بين السهول . اى ذى حس لا يستلزمه الوقار حينما يرى ذاته دايسا باقدامه فى اراضيها على هامات الملوك واجساد الشعوب . واسفاه عظايم سورية قد درست وصارت كالغبار . ها نهر العاصى ياذن فى سهوله الفسيحة على اندثار ما

كان في جواره وكانه قد حفظ العهد فلبث ينوح
بخريره على ما فقد ويسقي لحوده بدموعه . سور انطاكية
وقف متغلبا على الايام مهشما من مصادماتها وكانه
يمد ذراعيه ليضم من اعتاد عليهم من الملوك والجنود
فيرجع بالخيبة واليأس

تدمر الضايعة بين خطوط الرمال الساكنة بساحة
القفار معتزلة عن مجمع العالم الانيس قد وقفت جفلى
لما صنعت بها الايام وكانها اذ تصفر من الفراغ تترنم
بصدى اسمها الشهير اعمدتها الهايلة التي تتوجت
بمجد سليمان قد صارت رووسها حجارة لمواقد العربان
هذه هي المدينة التي طالما جلست على هامة العظمة
والمجد تدوسها الان اقدام اللصوص متخذين سراياتها
كهوفا لهم . اسواقها المقفرة قد طالما كانت غاصة
بالشعوب المجيدة واسوارها التي كانت تضج باصوات
الصنايع وتهاليل الاعياد تمكن بها الان السكوت الابدي

بعلبك الملتحفة بالصخور الغارسة اقدامها في احشا
لبنان قد اعتاضت هياكلها عن الرونق والازدها
بنسيج العنكبوت وعن رنين التهاليل بطنين الذباب

ولقد وقفت تمانع مهاجمات الزمان تاركة اثار اتها الجليلة قواعد بديعة لارباب الصنايع ومنهل الهام للشعرا الحاذقين وموضوعا فسيحا للفلاسفة العظام وجهالة وجمادا لا يعبا به الى سكان نواحيها

ارز لبنان العظيم المتشح بهيبة الاجيال الذى هابته ايدى المصايب فثبت في افق سدته السامية بمنزلة الشاهد الحى على حوادث بلادنا غير متاثر من زوابع الايام التى هبت فابادت كلما حوله نراه الان بحزن اسفا و يا بن حزنا على اعضايه الفانية تحت ردم هيكل سليمان

بقايا صور واقفة على حدود مهاوى الخطر حيثما تتهددها بكل صباح جيوش الرمال المنقضة عليها . مليكة البحر قد خضعت لسطوة امواجه . حيثما تغير جنودها على بواقى حصون شاطيها فيجمع ما بقى عنك من العزم ويردها الى خلف . هنك هى المدينة التى كانت مركزا لتجارة العالم صارت منشرا لشباك الصيادين . هنالك اقيم حصار المملكة العظمى . وهنالك ظهرت سطوة اسكندر الكبير الذى كان لا يطر به

سوى رنين السيوف وقعقعة السلاح ولا يعجبه الا منظر النور المنحدر على الجيش من الصباح

لا شك ان من يزور جميع هذه الاماكن لا يصادف سوى الفراغ . اين هياكل بعلبك واورشليم . اين ارجوان صور . اين معامل صيدا . اين مدارس بيروت . اين السفاين الكثيرة . اين البحارة الغفيرة . اين الطرقات الفسيحة . اين المراعي الخصيبة التي كانت جميعها زينة لهذه البلاد فهذه قد ذهب الكل وصار هباء منثورا . العظايم قد سقطت . الهياكل قد هبطت . الابواب قد ردمت . المدايين قد هدمت . وكادت الارض ان تعرى من سكانها فقابلوا بين سورية القديمة وسورية الجديدة وافتكروا اين كانت اسلافنا في الامس واين نحن اليوم

ولما كان اخص اهتمامنا هنا ان نذكر الاماكن المخروبة في هذه البلاد وجب علينا قبل ان نبتدي بذلك ان نذكر طرفا مما كانت عليه بلاد سورية وفلسطين في الزمن القديم فنقول ان هذه البلاد كانت معمورة

ومخصبة جدا ومتقونة الحراثة حتى ان الرومانيين
واليونانيين كانوا يعدونها من افضل ولاياتهم ومشاهير
المورخين القدما يشهدون بعظمة مدانها وخصب
اراضيها ولقد كانت من عهد داوود سنة ١٠٥٠ ق م
الى هرقل سنة ٦١٠ م كثيرة السكان بمدن عديدة وعلى
حساب يوسف واسترابون كان بها من السكان عشرة
ملاوين واما اليوم فليس بها مليونان وقد كانت جميعها
مزينة بالطرقات التى كانت تمر عليها العربات حتى
ان سليمان كان عنده اربعون الف معلف الى الخيل
التى تجر المركبات ولم تزل للان تنظر اثارات طرق
الرومانيين كما يشاهد بين بيروت وصيدا ولكن هذه
البلاد قد استولى عليها البوار من اغارات الاجانب
المتوالية من دول الكلدانيين والسريانيين والمصريين
والرومانيين الذين درسوا معالمها ونكسوا اعلامها ثم لما افتتحها
المسلمون فى الجيل السابع وهاجت عليها حروب الدول
العباسية والاموية والفاطمية تمزق شملها وتضعضعت
احوالها وقد احتملت شيا غير يسير من حروب الصليبيين
واسترجاعها من الممالك ونهبها من تيمور لنك مع التتر

وما ذكر انما هو السبب الاكبر الى خرابها لكن
الامر لا يخلو من اسباب اخرى منها محبة المهاجين الى الانتقام
التى طالما حملتهم على دمار البلدان واحتسابات بعض
المحاربين التى كانت تلجيهم الى القاء العمار فى دايرة
الخراب والزلازل القوية التى كان لها اليد الطولى فى
انقلاب المبانى واخيرا تحويل الاسباب من جهة الى
اخرى فان تحويل التجارة عن صور كان من اكبر
الاسباب التى جلبت خرابها

واما الخرابات الموجودة فى هذه البلاد فهى اكثر
من ان تحصر وقد قال بعض السواح انه نظر فى مسافة
ثلاثة ايام الى الشرق الجنوبى من بحيرة لوط اكثر من
ثلاثين مدينة مهدومة مقفرة الى الغاية وقد قال بعضهم
ايضا انه شاهد فى جولانه سلسلة الجبال الفاصلة سهول
حلب عن شطوط العاصى اثار اربعين مدينة قديمة.
واذ كانت هذه الرسالة الصغيرة لا تمكننا من ذكر جميع
الخرابات بالتفصيل فلنمشى على خارطة سورية ونذكر
الخرابات الاشهر والاهم مبتدين حسب العادة من الشمال

الفصل الاول

انطاكية

هذه المدينة كانت من اشهر مدن العالم واعظمها وكانت قصبة لبلاد سورية في عهد الدولة السلوقية بناها الملك سلوقس الغالب وكان بها من السكان سبعماية الف واما الان فليس بها سوى تسعة آلاف وقد اندثرت خلفا الرومانيين تجملها وتكبرها وقد خربها كسرى فاعاد عمارها جستنيانوس وبقيت على عظمتها الى اخر عهد الرومانيين وكانت سنة ٤٣٩ اخذة في سبيل الاعمال الجديدة وحينيذ مرت عليها الملكة اثدوكسية امراة الملك تيودوس اذ كانت راحلة الى اورشليم لزيارة قبر المسيح فجلست على كرسي من الذهب مرصع بالجوهر وتلت خطابا في مدح انطاكية فتهلل الشعب واقام الى هذه الملكة تمثالا من النحاس واخر من الذهب ووضع الاول في خزينة التحف والثاني في محكمة القضاة واما الملكة فاغمرت بالعطا اهل انطاكية ولما كانت هذه المدينة مبنية في ارض كثيرة الابخرة

فكانت كلما ازدادت زهاوة فى بناياتها الجديدة تخربها
الحركات البخارية التى تنفجر فى جوف الارض ففى
شهر كانون الثانى سنة ٤٤٧ للمسيح حدثت زلزلة
شديدة بالقسطنطينية وامتدت الى جهة انطاكية فخربت
قسما منها وقد رجعت هذه الحادثة بعد عشرة سنوات
وكادت ان تخرب المدينة بالتمام وما كان بها اذ ذاك
من المباني الجديدة التى انتقلت اليها التجار وتجمعت
بها الصنايع قلبت فى ١٤ ايلول سنة ٤٥٧ فى الساعة
العاشرة من المساء فساعد الملك ليون اهاليها بقيام خرباتهم
وعفاهم من الرسومات المبرية ووهب المدينة قسما وافرا
من الفضة وفى اواخر الجيل الخامس سنة ٤٩٤ حدثت
زلزلة خربت مدينة انطاكية ومنبج واللاذقية وفى سنة
٥٢٦ اذ كانت انطاكية ظهرت بهيئة جديدة حدثت
زلزلة فى ٢٩ ايار قلبت بغتة جملة من حاراتها وهذه
الحادثة لم تطل اكثر من دقيقة واحدة ولكن تلك
الدقيقة كانت كافية لخراب المدينة ولانه كان ذاك الحين
وقت الغدا وكانت النار مشتعلة بالمواقد قلب الجمر على
اثاث البيوت وعلق بالجسورة والاخشاب فالتهبها

واشتعلت النار وامتدت حتى الى المحلات التى كانت
محفوظة من الزلزلة لان الريح العاصفة التى نفخت
بذلك الحين اوصلتها لكافة جهات المدينة فاحتاط
اللهيب بالكنيسة الكبيرة ثمانية واربعين ساعة وبما ان
تلك الكنيسة كانت فى عز الملك قسطنطين مشيدة
الاركان بالمرمر والرخام مطلية بالذهب لم تقطع بها
النار سريعا بل اكتنت حول اساسها واسقطتها وقد
جلبت ضجة تلك الحريقة عساكر الرومانيين من رووس
الجبال فابتلعوا كلما كانت تركته افواه النار من المال
والامتعة وكثير من السكان ايضا كانوا يقتلون من علوه
من ابنا بلدتهم خبي مالا فى مكان ما واما الذين بقيوا
فى بيوتهم تحت الردم فخلصوا من الاختلاس وبعد
شهر من هذه الحادثة اقاموا من تحت الردم اشخاصا
احيا كانوا يقتاتون مما كان فى بيوتهم من الزاد واطفالا
حديثي الولادة بقيوا احيا دون امهاتهم اللواتى داركهن
الموت وما يتين وخمسين الف ميت كما رواه بعض معاصرى
تلك الحادثة

وهذه الزلزلة كانت الخامسة فى انطاكية التى احلت

بها الدمار و بعدها بسنتين حدثت زلزلة سادسة هدمت كلما كانت تركته الزلزلة التى قبلها وقتل بها اربعة الاف وثمانماية وسبعون نفساوحينيذ اهالى المدينة سموها ثيو بوليس اعنى مدينة الله املا برفع هذا الغضب عنها كما اشار عليهم احد السواح الصالحين بسورية

وقد افتتحها المسلمون فى سنة ٦٣٧ ثم استرجعها الافرنج سنة ١٠٦٨ ومن بعد خروجهم من سورية خربها سلطان مصر سنة ١٢٦٨ وقتل كثيرا من اهلها وهدم كنايسهم ثم تواثرت عليها الزلازل فاهلكتها وهى الان في حالة دنية وليست سوى قرية كثيرة البساتين ولم يبق من عظمتها الاولى سوى السور الذى يحيط بها من جوانبها الثلثة

الفصل الثاني

افامية

والى الجنوب الشرقى من مدينة انطاكية توجد اثار مدينة افامية بالقرب من حماه الى الشمال الشرقى منها

وهي من اشهر مدن تلك النواحي قال استرابون ان السلوقيين انشاوا بها مدرسة الى خيالتهم وكانت في ارض خصبة جدا وفسيحة المساحة وفي نواحيها كان يجد مرعي عظيم جدا وضع فيه سلوقس ثلاثة وثلاثين الف فرس وثلاثماية جاموسا وخمسماية فيلا واما الان فليس فيها ما يرتقي به قطيع من الغنم

وفي عهد تسلط الرومانيين كانت قصبة لسورية الثانية وقد قال فولني العالم الفرنساوي لما تعرض لوصفها انها اعتاضت الان عن عساكر الاسكندر المتمردة بشرذمة من الفلاحين يسكنونها على وجل من العربان ولم يزل بها كثير من الاعمدة واثار الهياكل والبيوت والاسوار لكنها مهدومة الى الارض وفيها قلعة يقال لها قلعة المضيق وداخلها قرية على رابية تنفجر من جوارها عيون كثيرة تجري مياهها لبحيرة افامية ومنها الى العاصي

الفصل الثالث

تدمر

ومن افاميه طريق قديمة رومانية توصل الى بالميرة وهى تدمر الشهيرة التى بناها سليمان بعد بنا هيكله بعشرين عاما لحماية مملكته من اغارة الاعدا التى تاتى من الفرات والعرب و بعض الكتبة تذهب غير هذا المذهب وتقول انما سليمان حسنها وزاد فى ابنيتها وقد كانت في اولها مركزا للملكة زينوبيه الشهيرة فى كتب التاريخ فى اواخر الجيل الثالث للمسيح وهذه الملكة انتصر عليها الملك اوريليانوس الرومانى واخذها اسيرة الى رومية ومن ذلك الوقت ابتدات تدمر تنحط عن عظمتها بعد ما كانت مركزا لتجارة المشرق لانها على بعد ٩٠ ميلا الى الشرق من حمص و١٩٠ ميلا الى الجنوب الشرقى من حلب و١٥٠ ميلا الى الشمال الشرقى من دمشق فكانت ممرا للقوافل ومركزا لاستقبال بضايع الهند من خليج العجم التى كانت تحمل من هناك الى فينيقية واسيا الصغرى بالفرات ام بالقفر واما الان

فلم يبقى منها سوى اثار هياكلها وابنيتها فاذا قدم
اليها المسافر يشاهد دفعة واحدة باحة عظيمة من الرسوم
والردوم والاطلال ومن ساير جهاته اقواس وقباب
وهياكل وايوانات وصف اعمدة يظهر ان طوله كان
اربعة الاف قدم معلقة بصورة من النحاس عظيمة
ومع طول الزمن فقد بقى بعض الاروقة والمبانى التى
بين الاعمدة والخرابات واما تلك العواميد التى شوهتها
مصادمات الايام فلم تزل حافظة لونها الاصفر الجميل
الذى يبهج دون لمعان ولم تزل فى مركزها الحقيقى
وقطعتها الاصلية ويوجد هناك بقايا قلعة عربية هايلة
كادت ان تكون مطمحا للعيون لو وجدت فى مكان
معمور وبعض مدافن تستحق المديح لعظمتها وهناك
تنظر اعمدة هايلة مختلفة المراكز فمنها ما نصفها فى الارض
ومنها مكسورة من فوق ومنها غير بعيدة العهد عن السلام
والبقية مطروحة تستدعى التفات الزايرين

وهناك ايضا هيكل الشمس الذين كانوا يسجدون
به وواجهته مركبة من اثنى عشر عامودا فى ساحة مدورة
ذات تسعة وسبعين قدما عرضا مزينة بصفين من الاعمدة

الجميلة وهناك رواق على واحد واربعين عامودا له باب
واسع وعلى هذا الباب تمثال نسر على رقعة مملوة من
المنجوم (ولعل في ذلك رمزا سريا) وهذا الباب بلا
شك كان للهيكل الذى لا يوجد به اليوم سوى ردم
متراكمة وهناك اربعة عواميد مزخرفة لم توثر بها زلازل
الارض وقبة النصر باقية ايضا فانظروا الى هذه الاثار
العجيبة والرسوم الغريبة بجانب العشش الحقيرة وخصوص
العرب المستوحشة التى اقتصرت عليها سكنى هذه المدينة
بعد ما كانت فى قديم الزمن تفتخر على رومية بالبهجة
والزينة ولكنها لم تزل قابلة للتصليح اذا اتجهت اليها
عناية قوية فانها بكل سهولة تعود الى زينتها الاولى نظرا
لمركزها الجيد للتجارة البرية

الفصل الرابع

بصري حوران

واذا نتبعنا جهة الجنوب الغربى من تدمر نصل
الى بلاد حوران التى مركزها الى الجنوب الشرقى من
دمشق وهناك ننظر اثار مدينة بصرى القديمة التى

يقول عنها ابو الفدا انها كانت من ديار بنى مرة
هذه المدينة الشهيرة تسميها اليونان والرومانيون
بوسترا واما زمن بنايها وقدميتها فقد وقعا تحت
الشك لكنه قد عرف ان الملك ترجانوس الروماني
الذى تولى سنة ٩٨ للمسيح اخذ هذه المدينة ووضع بها
محافظين ووجد هناك مسكوكات مكتوب عليها
ترجان بوسترا وقد ذكر اسقفها فى عدة مجامع مطرنية
واما خراباتها فتظهر على هيئة كروية تمتد من الشرق
الى الغرب وهى اشهر البنايات التى كانت هياكل
ومراسح وسرايات فى ناحية الشرق وكل هذه الاثار
منذ عهد القياصرة الرومانيين ومنها جامع كبير من
اوايل الاسلام لم يزل واقفا

الفصل الخامس

جرش

وقد اكتشف السايح ستزن فى الجهة الجنوبية من
بصرى على اثنى عشر ميلا خرابات بلدة اخرى قد
خططها كثير من الجغرافيين بالقرب من بحيرة طبرية

وهذه البلدة مشهورة فى القديم باسم كراسا التى تسميها
العرب جرش فكتب هذا السايح ما نصه

قد رغبت يوما ما ان ابحث على خرايب جرش
التى لا تبعد اكثر من ساعتين عن صوف والتى هى اشبه
بخرابات تدمر وبعلبك الجليلة ولم اعلم كيف بقيت
هذه المدينة ذات الشهرة القديمة مجهولة من محبى
الاثار فوجدت مركزها فى بقعة مخصبة يشقها نهر جميل
وقبل ان ادخلها نظرت قبورا كثيرة مزينة منها واحد
مكتوب باليونانية واما سورها فقد سقط سقوطا تاما
لكنه لم يزل يشاهد كل طوله الذى يقارب الميل وكان
مبنيا من حجارة كبيرة وفسحة البلد كبيرة ايضا من
ناحية النهر ولم يبق بيت مانوس لكننى نظرت جملة
من المحال العامة المتقنة الصنعة منها محلان كان كل
منهما (امفى تياترو) من الرخام المتين بالاعمدة الجليلة
التى لم تزل محفوظة كما يجب وبعض سرايات وثلاثة
هياكل احدها كان له اثنى عشر عامودا كبيرا من النوع
الكورنتى لم يزل منها احدى عشر واقفا وفى غيره
وجدت عامودا منطرحا مجليا من اجمل صناعات المصريين

ورايت احدا بواب المدينة لم يزل على عظمته وكان مركبا من ثلاث قناطر ومزينا بالعضايد واجل ما يوجد بهذه الخرابات طريقان طويلتان منعطفتان بين صفين من اعمدة الرخام الكورنثية احداهما محاطة بستين عامودا على هيبته نصف دايرة وحيثما تتعطف الطريقان يجد بكل من الاربعة زواياقواعد على طول الانسان يلوح انها كانت لتماثيل ويوجد قسم كان مرصوفا بالاحجار الصغيرة وعددت مايتين عامودا كان قسم منها لم يزل على هيبة الاولى لكن المطروحة على الارض كانت اكثر من الواقفة ومع هذا فلم انظر سوى نصف المدينة ويظن ان النصف الثانى في الناحية البحرية ويوجد به كثير من الاثار

جرش هذه هى كراسا القديمة مدينة من مدن ذكابولس اى العشر المدن وما نسخته من الخطوط اليونانية يوكد لى ان القسم الاكبر من بناياتها للملك مرقص اوريلوس انطونيوس الذى كان فى الجيل الثانى بعد المسيح .

وقد اطلق على هذه المدينة اسم جلعاد ويوجد بها

كنيسة من عهد الصليبيين ويسميها مورخو العصر
جاراس ويقولون ان الملك بلدوين الثانى الذى تملك
اورشليم سنة ١١١٨ قد حاصرها

الفصل السادس

اريحا

والى الغرب الجنوبى من مدينة جرش توجد
مدينة اريحا التى كانت تسمى ايضا مدينة النخل وهى
على الشمال الشرقى من مدينة اورشليم فى سهل ظريف
خصب يسمى بلاد الغور يسقيه نهر الاردن وهى ذات
قدمة عظيمة من اشهر مدن اليهودية فانها المدينة الاولى
لكنعان افتتحها بنوا اسرائيل وهدمها يشوع بن نون
ولعن كل من يبنيها لكنها لم تلبث حتى وجدت تحت
القضاة لانها بعد موت القاضى عاثانائيل اخذها بنو موآب
(قضاة اصحاح ٣ عدد ١٣) ولم تترمم هذه المدينة
حسبما اعلنه سفر الملوك الاول للعبرانيين الا فى مدة
الملك اخاب فتممت حينيذ لعنة يشوع و للتخلص منها
قالوا انما يشوع اراد ان يلعن من يبنى القلع ولذلك
لم تبنى

ثم صارت محلا لبنى الانبيا (ملوك ٢ اصحاح ٢ عدد ٥ / ١٥) فسكنها النبى ايليا واليشع حينما عادت اليهود من اسر بابل فكانت حينيذ البلد الاكبر بعد اورشليم فى اليهودية وقد بنى فيها هيرودس الاول سرايا وامفى تياترو ومرسحا للعب الخيل واستقام بها مدة سنينه الاخيرة فمات فيها ولقد هدمت فى حصار اورشليم فى عصر فسپاسيانوس القيصر الرومانى فرممها الملك ادريانوس ثم هدمت فى مدة حروب الصليبيين ولا يوجد فى مكانها الان سوى قرية صغيرة بها نحو اربعون عايلة ولا ينظر هنالك سوى اثار قلعة تظن بقايا كنيسة بنيت بالقرب من بيت ذكا قايد العشارين (انجيل لوقا ١٩) وفى الجيل السابع عشر كانوا يرون الحجاج الجهزة التى صعد عليها ذكا لينظر المسيح وفى نواحى المدينة كانوا يدلون على نبع اليشع الذى صار ماوه حلوا بمعجزة من ذلك النبى (ملوك ٢ اصحاح ٢ عدد ١٩)

الفصل السابع

القدس الشريف

والى الجنوب الغربى على ستة اميال من اريحا مدينة اورشليم او القدس الشريف التى هى اشهر مدن العالم لاسباب كثيرة وقد تعرضنا لذكرها هنا مع انها لاتعد فى جملة الخراب الحاضرة لكثر ما احتملته من النكبات العديدة التى حطتها عن عظمتها الاولى ودرست كثيرا من عظايمها

فهذه المدينة كان لها فى عهدها القديم سور متين على ثلاثة عشر بابا وكان نصفها قايما على جبل صهيون فكان يسمى المدينة العليا او مدينة داوود وهناك كانت سرايا داوود ثم سرايا هيردوس العليا وكان بها من السكان ماية وعشرون الفا واما الان فليس بها سوى الفين وخمسماية وكان اسمها القديم جيبس او يبس وما زالت تسمى هكذا حتى دخل بنوا اسرايل الى ارض الميعاد فاتخذها داوود الملك قصبة لمملكته عوضا عن حبرون التى استقام فيها مدة بعد انتصابه ملكا وبنى بها

سليمان هيكله الشهير فى سنة ١٠١٢ قبل المسيح حسب التوراة العبرانية وحينيذ لم يكن فى العبرانيين من اتقن الصنايع فلم يقدر ان يعتمد عليهم فيما كان يريد عمله فى الهيكل فاستمد ذلك من حبرام ملك صور وقد ذكر هذه الرواية ايضا يوسفي المورخ فقال

• ولما ولى سليمان الملك ارسل حبرام ملك صور الذى كان صديقا لداود ابيه رسلا تهنيه فاجابه سليمان بكتاب هذا ماله

• من الملك سليمان الى الملك حبرام

ان ابى الملك كانت له رغبة عميقة فى بنا هيكل لمجد الله لكن الحروب المستديمة التى كان مجبورا اليها لم تمكنه من ذلك لانها لم تسمح له بترك السلاح الا بعد قهر اعدايه واخضاعهم بتادية الجزية وبما ان الله سكب نعمته على ومتعنى بصلح وطيد اعتمدت ان اهتم بهذا العمل الذى اوحى الى ابي انى سانال الحظ بالابتدا به وتتميمه وبنا عليه التمس منك ان ترسل بعض اهل صنايع بلادك لكي يقطعوا مع عملاى الاخشاب اللازمة لهذا المشروع من جبل لبنان لان

لا احد كما قيل به الكفاية لذلك اكثر من الصيدونيين
وانا ادفع لهم المبلغ الذى ترغبه .

. فاستقبل الملك حبرام هذا الكتاب بكل سرور
واجابه هكذا

. من الملك حبرام الى الملك سليمان

. انني اشكر الله الذى جعلك وريثا لتاج ابيك الملك
ذاك الامير الكلى الورع والحكمة وساتمم مرغوبك
بكل سرور وسامر ايضا ان يقطعوا من نفس احراشى
جانبا من جسورة السرو والارز وساحزمهم مع بعضهم
وارسلهم لك بحرا الى احد شطوط بلادك الذى تعرفنى
انه اكثر سهولة لك لكى تنقلهم الى اورشليم وبدلا عن
هذا التمس منك ان تسمح لى باستجلاب جانب من
الحنطه لانها كما لا يخفاك تلزمنا بهذه الجزيرة .

وعلى هذا يقول يوسف ان هذه المكاتيب كانت لم
تزل محفوظة لعهد المسيح فى سجلات مملكة صور وفى
سجلات اليهود وبما ان سليمان انسر من جواب حبرام
سمح له ان ياخذ الفين كيلة من الحنطة والفين قلة من
من الزيت ومثلها من الخمر ولاجين عين سليمان ثلاثين

الفا يذهب منهم كل شهر عشرة الاف لقطع الاخشاب
من جبل لبنان حتى اذا انتهت مدتهم تذهب مكانهم
العشرة الثانية بالتداول وفى سبع سنين (٢ ملوك ٦
٣٧ / ٣٨) تم سليمان بنا هيكله بكلما فيه من التحف
والمذهبات والزخرفة والرونق ومن اراد ان يقف على
ذلك بالتفصيل فعليه بمطالعة سفر الملوك الثالث و تاريخ
يوسف ولنرجع الان الى ذكر ما جرى على القدس الشريف
فنقول

انه قلما ذاقت مدينة من المدن ما ذاقته مدينة
القدس من التقلبات وما احتمله هيكلها الذى ال امره
الى الاندثار ففى سنة ٩٧١ قبل المسيح اتى سيساق
من مصر ونهب الهيكل وقد اخذها بختنصر
الملك ثلاث امرار سنة ٦٠٦ و ٥٩٨ و ٥٩٦ ق م وفى
الاخيرة خربت سنة ٥٨٧ ق م ثم رممها واصلحها
قوريش بن كبيز ملك العجم سنة ٥٢٦ ق م ثم عادت
بالتدريج الى جمالها وعظمتها ولا سيما فى عهد خلفا
الاسكندر لكن السلوقيين اوقعوها بعدم النظام وخضبوها
بالدما فاعقبهم قيام المخابيين الذين توجوها بالعظمة

من سنة ١٦٦ الى ١٦١ ق م وفى سنة ٧٠ للمسيح
هبت عليها عاصفة شديدة من حصار طيطس الرومانى
دمرتها دمارا كليا وذلك لان القيصر وسپاسيانوس لما
ولى الملك برومية ارسل ابنه طيطس ليفتح اورشليم
ويتملك عليها فجا هذا القايد وابتدت الحرب بينه وبين
اليهود وبعد وقايع كثيرة عزم على محاصرتهم فاحتشد اليهود
فى المدينة العليا والهيكل ومتاريس انطونية فامر عسكره
ان يهدموا برج انطونيه ليسهل اخذ الهيكل وفى ١٨
تموز فى الساعة الثالثة من الصباح هجم الرومانيون على
اليهود وكانت وقعة مهولة وبعد سبعة ايام هدمت انطونية
وفى ٢٤ تموز احترق الهيكل من ناحية الشمال بالنار
التى وضعتها الرومانيون وعوضا عن ان تطفيها اليهود
كانوا يبتهجون بها ظانين ان ذلك يوافقهم وفى ٢٧ الشهر
املوا الهيكل من ناحية الغرب بالحطب اليابس والكبريت
ولما هجمت الرومانيون هرب اليهود واشعلوا النار فهلك
خلق عظيم من الرومانيين

ولما اشتد الم المجاعة باليهود كانوا ياكلون الجلود
وكانت بذلك الحين امراة تسمى مريم سلبتها العساكر

كل قوتها حتى صارت تشتهى الموت ولما اشتد بها
الياس اخذت ابنها الذى كان قريبا من الموت وذبحته
وشوت لحمه واكلت نصفه فلما شم العسكر الرايحة اقبلوا
على تلك التعيسة وهددوها بالموت اذا كانت لاتعطيهم
من الطعام الذى كانت تاكله فاطلعتهم بالحال على
بقايا ابنها قايلة لهم . انى خصصتكم بالقسم الاكبر .
ولما سمع اولايك البربر هذا الكلام اقشعرت ابدانهم
ولم يبدوا كلمة قط فقالت لهم . هذا ابنى وانا ذاتى
فعلت هذا الفعل فكلوا فانا قد اكلت منه لاتكونوا
اكثر حنوا من امراة واشد حساسة من ام وحينئذ
ارتعدت فرايص العسكر ونفروا عنها فضجت المدينة
بهذا الخبر المحزن وكثير من التعسا الذين كاد الجوع
يميتهم كانوا يقتلون بعضهم بعضا صارخين . الموت
الموت قبل استماع خبر كهذا .

ثم امر طيطس في ٨ اب ان يصعدوا الى اعالى
الهياكل بالسلالم فاستطاع الرومانيون على ذلك دون
عايق لكنهم عندما وصلوا الى اعالى الحيطان استطتهم
اليهود فراى طيطس ان اعماله لاتجدى نفعا فى الحصار

فوضع النار فى الابواب فسالت الفضه واكلت النار
الخشب وكانت تلتهب من جهة الى اخرى ودام
اللهيب كل الليل دون ان تستعمل اليهود واسطة لاطفائه
وفى صباح اليوم التاسع من الشهر امر طيطس عسكره
ان يطفوا النار لياخذ طريقا الى الهيكل بنا على ان
يبقيه زينة فى مملكته وفي صباح ذلك اليوم بذل اليهود
جهدهم ليخلصوا الهيكل ام يموتوا تحت خرابه وحينما
خرجوا من الباب الشرقى ضربوا الرومانيين فاظهروا
الانكسار ورجعوا الى الخلف لكن طيطس جا حالا
الى اسعافهم وفى الساعة الخامسة حصر الرومانيون
اليهود داخل الهيكل وقر الراى على مهاجمة الاسوار فى
الصباح وحينما خرجت اليهود اخذ احد الجنود الرومانية
شعلة دون ان ينتظر الاوامر وصعد على ظهر احد رفقائه
وقذفها من الشباك من جهة الشمال فانتشبت النار
فى كل جهات الهيكل وللحين هرع طيطس واعطى
الاوامر التى لم تاخذ مفعولها باطفا النار ومن الاتفاق
الغريب ان احتراق الهيكل كان فى ١٠ اب فى نفس
النهار الذى كان حرقه به بختنصر قبل ستة اجيال وزاد

صراخ طيطس ولم ينتبه احداليه بل زاد هياج العساكر
فصاروا يغرون بعضهم على زيادة الحريق حتى صار
من المستحيل اطفاه وكان اليهود يصرخون بكل قوتهم
مجتهدين ان ينقذوا الذكر الاخير الى جنسهم فلم يستطيعوا
على ذلك لان المكان المقدس كان قد هبط من كل
جوانبه وصار رمادا ومحاموه كانوا يذبحون الوفا فذبحت
الشيوخ والاطفال والنسا والكهنة جميعهم كالغنم وهناك
اقتبل مذبح الله قبل ان يمحى الى الابد ذبيحة
وافرة العدد

فدخل طيطس الى المكان المقدس وقدس الاقداس
وتاثر من منظر تلك العظمة واراد ان يبقى ما لم يدثر
منها لكن اوامره وتهديده كانت تذهب سدى لان
امل الغنيمة الوافرة كان يزيد هياج الجيوش وللحال
صار جبل الهيكل خرابة مردومة ثم امر طيطس
باشعال النار في المدينة فاضطرمت للحين في الهيكل
والاماكن العامة في البلد السفلى فتهيبا طيطس لمهاجمة
البلد العليا فهاجموا اسوارها ولم تلبث حتى سلمتها
اليهود فدخل طيطس وعسكره ووجدوا بها كثيرا مانوا

من الجوع فامر بقتل كل مسلح واسر كل مسلم وخرب
المدينة باسرها ولم يكن باقيا الا ثلاث قلاع التى هى
هيبكس وفسائيل ومريميني وهذا ما كان باقيا من كل
اورشليم التى صارت حينئذ بلقعا وركاما وقد قال يوسف
انه هلك فى المدينة الف الف ومائة الف بالجوع والنار
والسيف وبيع سبعة وتسعين الفا كالعبيد ما عدا جموعا
لا تحصى هلكوا فى اماكن اخرى من اليهودية

وما زالت اورشليم منطرحة فى ظلمة الخراب حتى
بنى حكانها الملك ادريانوس فى سنة ١٢٦ للمسيح
مدينة سماها ايلية كابتولينة وسمح لليهود بسكناها لكن
الملك قسطنطين رد لها اسمها الاول اورشليم وقد بنت
بها الملكة هيلانه ام الملك قسطنطين عدة مبان عظيمة
كانت لها كالحلية وفى الجيل السابع للمسيح وقعت فى
ايدى العجم والعرب فسماها العرب مدينة القدس
الشريف وقال الحسن ابن احمد المهلبى فى كتابه العزيزى
ان الوليد بن عبد الملك لما بنى القبة على الصخرة بنى
ايضا هناك عدة قباب منها قبة المعراج وقبة الميزان وقبة
السلسلة وقبة المحشر ثم جا للتغلب عليها الافرنج

الصليبيون فاخذوها من ايدى الاسلام فى ١٥ تموز
سنة ١٠٩٩ للمسيح واتخذت مملكة وضمت لبعض العايلات
الافرنجية وصار لها رونق وبهجة لكن وقع بينهم شقاق
خسف انوار ملكهم وفى سنة ١١٨٧ استولى الملك
صلاح الدين عليها ثم دخلت على المناوبة في ايدى
ملوك دمشق وبغداد ومصر وفي سنة ١٥١٧ من الميلاد
دخلت في ملك الدولة العلية وكانت هذه المرة هى
السابعة عشرة التى دخل بها التغيير على القدس فسبحان
من يغير ولا يتغير وهى الان منحطة عن عظمتها ولم
يبق لها اعتبار الا بسبب الاماكن المقدسة المشهورة
التى فيها ولم يزل يشاهد بها بقايا حيط يزعمون انه
من السور الذى بناه سليمان ويشاهد ايضا فى المقابر
الملكية بشمال المدينة ما صنعه فيها ارباب الصناعة
من اليونان

الفصل الثامن

عسقلان

واذا انحدرنا من القدس الشريف الى ناحية الغرب الجنوبى نجد على شاطى البحر الابيض اثار مدينة عسقلان القديمة وهى بين اسدود وغزة الحقت باليهودية بعد بعد موت يشوع ثم وقعت تحت سلطنة الفلسطينيين ولم تسترجعها اليهود الا بعد عصر المخابيين وكان اكثر سكانها وثنيين وهى مسقط راس هيرودوس الكبير وكان بها هيكل فنيس التى كان السوريون يعبدونها تحت هيئة الاسماك المتشابهة الرووس للنسا وكانت كرسيا للمطرنة منذ القرن الرابع الى فتوحات العرب وكانت بعهد الاسلام من المدن البحرية المشهورة وكانت ذات سورين وكانوا لجمالها يسمونها عروس الشام وقد طالما تخاطفتها العرب والافرنج فاخذها بلدوين الثالث ملك اورشليم بعد حصار ثمانية اشهر وفى سنة ١١٨٧ استرجعها الملك صلاح الدين الايوبى وقد اشعل السلطان بها النار حينما تقدم اليها الافرنج سنة ١١٩١ تحت

راية ريشارد قلب الاسد وفى السنة الثانية هدمت الى
اساساتها بموافقة بين الاسلام والافرنج كيلا تبقى حصنا
لاحد منهم ومن ذلك العصر لم تبنى قط ولم يزل
يشاهد للان خرابها الذى زاره كثير من السواح منهم
القونت فوربين الذى قال

. هذه المدينة التى لا تحوى على ساكن قط مبنية
في سهل فسيح ولم يزل يشاهد بها ابواب المقاربس
واقفة وبرج صغير ينتظر غفيره . الدروب تدلك على
اماكن مختلفة والغزال الشارد يصعد امنا على السلم ضمن
السرايا وصدى الكنايس الفسيحة لا يجاوب الا صراخ
ابن اوى وجم غفير من الوحوش يجتمعون فى المكان
العام . وهم الان الحاكمون بعسقلان وحدهم
وقد ترثى العرب لحالة هذى المدينة لكنهم يتخذونها
ملجا للشقا ويوكدون انها تنار غالبا وانهم يسمعون
بها اصواتا مختلفة من صهيل الخيول وقعقعة السلاح واشابر
القتال وهناك توجد اثار هيكل فنيس به اربعون
عامودا من البلاط الوردى بعلو شاهق وقباب وافاريز
من الرخام المكلف وبير عميق فى احشا الارض واشجار

تين ونخل وجميز تخيم على تلك الاطلال فياللعجب من هذا المنظر الفلسفى فى تلك الخرابات الهايلة

اعمال ميناها قد اقتصرت الان على ملاعبة الامواج التى تتنشب بعلو عظيم على الصخور فلم يمكنى ان اتخلص من هذه الاماكن بدون تاثير وكنت اود ان انتظر الظلمة التى لاح لى انها ستكون ماهولة بالناس .

وقال فولناى ان خراب عسقلان يبتعد يوميا عن البحر الذى كان قريبا منه وان كل الجهات تترمل يوميا كما ان اغلب الاماكن التى كانت مينا فى القديم هى الان تحت اربعماية او خمسماية قدما في الارض وجملة من قدما الكتبة تكلموا على نوع خصوصى من البصل كان يحضر من عسقلان

الفصل التاسع

قيصرية

والى جهة الشمال من عسقلان مدينة قيصرية فلسطين وكانت تسمى قلعة استراتون ربما على اسم بانيها وقبل ان هيرودس

بناها على اسم الملك اوغسطس قيصر فى السنة السابعة
قبل المسيح حسبما ذكر يوسف المورخ وقيل ان
هيرودس احاطها بسور وزينها بسرايات من الرخام
وقد كرس بها الملك اوغسطوس هيكلا حينما حضر اليها
وقد اكتسبت عظمة بالباب الكبير الذى بناه هيرودس
وكان اكثر سكانها روم وسوريين وكانوا متحدين مع
السكان اليهود

وكانت بعد خراب اورشليم قصبة فلسطين ومركزا
للولاة وبها تنصر كرنيليوس القايد الرومانى وقد
تردد اليها الرسول بولص كثيرا واستقام فيها اسيرا
سنتين وكانت فى الجيل الاول للمسيح كرسى ابرشية
وفى عهد الملك قسطنطين كانت بها احدى كنايس
فلسطين الثلاث وفى سنة ١١٠١ اخذها الصليبيون
برياسة بلدوين الاول ملك اورشليم ثم اخذها السلطان
صلاح الدين والان لا ينظر هناك سوى الخراب وفى
وسطه بعض مغاير للصيادين ولم يزل اسم قيصرية العظيمة
يطلق على هذا المكان المقفر الذى صار مسكنا للوحوش
وبين يافا وقيصرية كانت ابولونية على البحر وبالقرب

منها انتباترس فى الطريق من قيصرية الى اورشليم

الفصل العاشر

صور

والى ناحية الشمال من عسقلان على مسافة يوم ونصف من عكا بقايا مدينة صور القديمة فهذه المدينة بنتها الصيدونيون سنة ١٢٥٣ قبل المسيح بمائتين واربعين عاما قبل بنا هيكل سليمان ولهذا يسميها اشعيا ابنة صيدون ص ٢٣ / ١٢ لكنها لم تلبث حتى فاقت امها بالغنى والقدرة وكان مركزها اولا فى البر ثم ابتدا اهلها بالبنا على الجزيرة وفي سنة ٩١٧ قبل المسيح حاصرها شلمناصر ملك اثور فصادمت وحدها سفاين الاثوريين والفنيقيين ولذلك زاد عتوها وكان قد كبرها ملكها حيرام بن ابيال وخرب جملة من هياكلها وبنى هيكلين احدهما لهرقل والثانى لعشتروث اى الزهرة وكان بها هيكل على اسم جوبيتور (المشترى) وقد حاصرها بختنصر فى عهد ملكها ايتوبعل ولم ياخذها الا بعد ثلاثة عشر عاما سنة ٥٧٢ ق م ولكن قبل ان

باهذها كانت الاهالى مع اكثر امتعتهم هاجروا الى
الجزيرة القريبة التى كانوا بنوا بها المدينة الجديدة
فدرست القديمة الى اساساتها ولم تكن منذ ذاك
الحين الا قرية صغيرة معروفة باسم بالاتبروس او صور
القديمة وصارت الجديدة اقدر واعظم منها

وقد كانت صور اشهر مدن فنيقيه ومنبع تمدن بلاد
الدنيا جذبت الى حضنها من جميع شعوب الارض
واشتخرت بانها مخترعة علم سلك البحر ومعلمة البشر هذه
الصناعة ومشجعة قلوبهم على ملاطمة الامواج بقدرة
مركبة صغيرة ولذلك تسمت ملكة البحر وكان جميع
تجار البلاد قريبا وبعيدا بترددون اليها نظرا لمركزها
الحسن وسعة ميناها وبالاخص لحسن مشرب اهاليها
وضبط سلوكهم فقد كانوا يشغفون الناس ويرونهم بها
محلا عاما لجميع الجنس البشرى ومجلسا خاصا للعالم
التجارى كما انها كانت مرسحا لاتقان الصنايع والعلوم
ولم يكن لارجوانها عديل في الدنيا وكانوا يستخرجونه
من بعض اسفاط بحرية ويبيعونه بثمن غالى جدا وكانت
مدينة قرطجنه التى كانت كرومية احدى عمالاتها اى

المعمورة ممن نزح من اهاليها

وبينما كانت على هذه الحال يسمو عزها ويتزايد غناها دهمها حصار اسكندر المهول سنة ٣٣٢ ق م فهد اركانها ودرس دعايمها وذلك لان صور بقيت وحدها غير خاضعة للاسكندر لما دخلت سورية وفنيقيه في قبضة كفه تحت المكدونيين ولما اقترب منها ارسلت له سكانها هدايا ثمينة تليق بشانه وزخرة وافرة لعسكره لانهم كانوا يبتغونه صاحبا لا ملكا لكنه اراد الدخول الى صور لتقديم ذبيحة الى هرقل فلم ياذنوا له بذلك واما ذلك البطل فلم يحتمل هذه الاهانة بعد نصرانه العديدة فالقى عليهم الحصار قاصدا اخضاعهم لقبول اوامره وعند ذلك تهيا الصوريون للمدافعة وكان لتلك الجزيرة سور علوه مايه وخمسون قدما محاطا بالبحر فشمروا للعمل وحصنوا الاسوار وساحوا الشبان وابتدوا بشغل الاساحة لكن الاسكندر احتسب من اطالة الحرب لانه نظر ان اخذ هذه المدينة الشاهقة الاسوار مستحيل بالحصار فارسل لهم رسلا تكلمهم بالصلح ولما بلغت الرسل اليهم استقبلوهم بحد السيف

وقذفوهم من السور وكان ذلك مما ينافى الشريعة المدنية
فاستشاط الاسكندر غضبا من تلك القباحة فحملته هذه
الاهانة على تدبير طريقة لاخذ المدينة
فاعتمد على بناء سد فى الما فوجد فى صور القديمة
التى كانت بازائه كلما احتاج اليه من الحجارة والاخشاب
واستجلب من جبل لبنان المشهور بارزه الذى لم
يكن بعيدا عن ما لزمه من الاخشاب ايضا وكانت
الجنود منهمكة على العمل واسكندر يناظر بنفسه فكان
ابتدا عملهم هذا سهلا نظرا لبعدهم عن السور وعدم
استطاعة المحاصرين على الخروج اليهم لكن كلما كانوا يتقدمون
كانت تزداد المصاعب حيثما كان البحر عميقا وسهام
الصوريين تذيقهم غصص الموت وكان الصوريون اقويا
جدا نظرا لتملكهم على البحر وكانوا يستخزون
بالمكدونيين قايلين . ما اجمل ان ننظرها ولاى
الفوارس المشهورين فى العالم اجمع يحملون على
ظهورهم الان مثل الحمير . ولما صار السد كافيا
للاستحكام على البلد خرج الصوريون بالقوارب
حاملين اوايل الحرب وفتكوا بالفعلة فتكا ذريعا ثم

لم يفتروا قط عن هدم كل اختراع مكدوني
ولذلك انزلوا مركبا ممتليا من الكبريت والقطران
ومواد قابلة الالتهاب ووضعوا في سواريه زيتا وفي
موخره حجارة ورملا غزيرا لاجل الحراقة وحينما
سنحت لهم فرصة من الطقس خرجوا الى حد السد
واشعلوا النار ونجوا بانفسهم سباحة وللحال هبط
السد وكان الزيت الذي في السواري يزيد النار التهابا
كلما كادت تخمد وكان السور يمطر سهاما وصواعقا لمنع
مبادرة المكدونيين لاطفاها فهالك من الفعلة كثير ومنهم
من القوا نفوسهم في البحر تاركين اسلحتهم وكان
الصوريون يودون اسرها ولاي اكثر من موتهم فكانوا
يراشقونهم بالحجارة على ايديهم حتى يدوخوا ثم ياسرونهم
وكانوا ينزلوا بقواربهم ويحرقون كلما ابقته الحراقة من
الاوايل

واما الاسكندر فكان لم يزل واقفا على قدم الثبات
مصرا على مقصده فضاعف الجهد حتى صار السد قريبا
الى السور وحينئذ هبت رياح عاصفة اهاجت امواج
البحر الى اعلى السد فهدمته ولما راى الاسكندر ان

اهالى صور متسلطة على البحر قل امله باخذها فجمع
كل المراكب التى كانت بقيت له فى صيدا ثم اتحدت
معه ملوك قبرص بستة وعشرين سفينة ولما انتهت
تهيئة العساكر البحرية اخذ رجاله فى المراكب لمهاجمة
صور وارسل مراكب برفقة ملوك قبرص وفينيقية فاراد
الصوريون الضرب حالا لكنهم لما علموا ان تلك
المراكب كانت تنتظر مراكب اخرى خافوا من
الخروج ولبثوا فى المينا سادين الطريق عن السور
فتقدم الاسكندر الى ناحية الجزيرة وحينما نظر مضيق
المينا توقف عن القتال ورسى بها ينتظر النجدة وحينئذ
قارب السد النجاز على بنا متين به الكفاية ان يعصى
على ايدى الصوريين وملاطمة الامواج وكان المحاصرون
يبحثون عن وسايط لهدم البنا فكانوا ياءتون خفية
بالقوارب الغواصة و يجذبون بالكلاليب قطع الاشجار
التى كانت هنالك فيهدمون ما فوقها حتى اذاقوا
البناية وحبروا الفعلة انما اخبرا تم السد فوضعوا عليه
كل نوع من الالات لهدم الاسوار بضرب المنجنيق
والسهام النارية وبالوقت ذاته وضع الاسكندر السفن

القبرصية فى الميناء التى لجهة صيدا ومراكب فينيقية فى
الميناء التى لجهة عكا مقابلة لخيمته وهكذا اعتمد على
ضرب المدينة من كل النواحى وكان الصوريون تهياءوا
للمانعة من جهة السد وكانوا ياءتون بالقوارب ويقطعون
مراسى السفن فوضع الاسكندر حراسا لذلك من
القوارب ذات الثلاثين مجذافا واذ لم يجد ذلك نفعا
التزم الى ربط المراكب بسلاسل من الحديد وحينئذ
وصل الى صور ثلاثون سفيرا من قرطجنه دون ادنى مساعدة
سوى الاعتذار الفارغ لكن ذلك لم يقلل جسارة
الصوريين فارسلوا نساءهم واولادهم الى قرطجنة ليستطيعوا
بذلك على القتال بيسالة من ايس من الحيوة

وكان فى مدينة صور تمثال عظيم من البولاد على
اسم ابولون وكان اولا فى قرمان فاخذه اهل قرطجنه
واهدوه الى صور سنة ٤١٢ ق م فكانت تسجد له
الصوريون دايما وفي تلك المدة راءى احد سكان صور
فى الحلم ان ابولون هذا سيتركهم ويذهب الى الاسكندر
فنهض مرتعبا واسرع الى الاهالى واخبرهم بحلمه فهرعوا
جميعا الى ابولون وقيدوه بسلسلة من الذهب وربطوه

على مذبح هرقل ليمنعه من الفرار لان اولئك الاعزا
كانوا يظنون ان هذا التمثال ما دام تحت القيد
لايستطيع ان يفروان هرقل اله المدينة بلاشك ولا
ريب يمنعه عن الفرار فيا للعجب اى اعتقاد كان لاولئك
الوثنيين بعظمة الههم ثم نزل الصوريون الى مراكب
قبرص وكانت خالية من الرجال فنهبوا واغرقوا ولو لم
يسرع الاسكندر لردهم لكانت الخسارة جسيمة واخبرا
مل اسكندر من الحصار وخشى من انثلام صيته الذى
كان به دون غيره يستولى على البلاد فجمع عسكره وقدم
سفنه لمهاجمة عامة على الاسوار فانتشب القتال بين
الفريقين فكانا يتصارعان كالاسود لكن مباشرة الاسكندر
القتال قوت قلوب عسكره واغرتهم على المهاجمة فانه قد
تسلق بنفسه على برج من السور تحت خطر لم
يستهدف له قط فى كل غزواته لانه كان بهيئته الملوكية
وملابيسه الذهبية حتى صار هدفا لاعين الاعدا
وهناك اظهر كل بسالة وبطش وقتل بيده عددا غير
يسير من محامى الاسوار وحينما اقترب منهم كان يطرح
بعضهم الى البلد وبعضهم الى البحر وتملك العسكر على

برجين وخرقوا السور بضرب المنجنيق فهدمت
بعض جوانبه ثم تملكوا على القلع ثم اخذت المدينة من
جهتها البحرية وهناك كان المكدونيون يتراكضون
فى كل ناحية ويشفون الغليل من الصوريين الذين
اذاقوهم العذاب اخذين ثارهم لقتل رسلهم واما
الصوريون فحينما نظروا الغلبة تراكض بعضهم الى
الهياكل يستغيثون بالارباب وانقذف البعض على الاعدا
ليبيعوا حياتهم باشرف الاثمان واما الاسكندر فقد امر
بانمحا اثر اهل صور ما عدا الذين ضمن الهياكل ورسم
بوضع النار فى كل مكان وكانت الهياكل ممتلية من
البنات والاطفال الذين كانوا بقيوا في المدينة وكان
الشيوخ واقفين على ابواب دورهم ينتظرون دقيقة
ذبحهم لكن مراكب صيدا هربت بالخفية كثيرا منهم
لانهم كانوا من معارفهم فبلغ عددهم الى خمسة عشر الفا
فارسلوهم الى صيدا وقد تشقف بهذه المعمعة المهولة
ستة الاف جندى على الاسوار واسر ثلاثون الفا من
الاهالى والغربا وبيعوا جميعا وحينئذ تكللت اعمال
الاسكندر بالنصرة والفخر فاطلق سبيل سفرا قرطجنة

الذين كانوا حضروا لتقدمة الذبيحة السنوية الى هرقل
حسب عادتهم لكن محبة الانتقام وربما روح ذلك
العصر قادته لامر به الكفاية ان يدنس اسمه بجبهة
التاريخ حيثما اظهر شيئا قبيحا امام الفاتحين لانه
اخذ الفين من الاسرى وربطهم ببعضهم وصفهم على
شط البحر بشكل صليب وهناك صلبهم ثم قدم ذبيحة
الى هرقل بكل احتفال وحينما وصل الى الهيكل فك
قيد ابولون واعاده الى حريته وسماه (فيلاليكسندر)
اى صاحب الاسكندر وكان ذلك خرابا كاملا لصور
وحينئذ ابتداءت السبعون سنة التى كان يجب ان
تنسى بها على ما قال اشعيا ص ٢٣ عدد ١٥ ولم تلبث
ان رجعت الى صور بعض الخمسة عشر الفا الذين خلصتهم
اهالى صيدا وتعاطوا التجارة وبكل اعتنا بنوا خرابات
مدينتهم وعاد اليها النسا والبنات الذين كانوا ارسلوا
الى قرطجنه وحينئذ كانت صور اتصلت بالبر بواسطة
السد الذى بناه الاسكندر والبحر الذى كان يقذف
عليه رماله حتى اسوى ذلك الرصيف ارضا وصار
متجرها منحصرا مع مجاوريها ولذلك خسرت ملك

البحر وبعد ثمانية عشر سنة حاصرها انطونيوس قيصر
فلم تصادمه بادئ قوة بحرية وهذا الحصار رماها ثانية
بالاستعباد واوقعها بالنسيان الذى اغتصبت الخروج
منه وهذا هو كما قيل فى ما تنبا به اشعيا

ولما انقضى الوقت المعين انتفضت من الخراب
ورجعت الى مسراها الاول وفى نفس الوقت الى
رذايلها الاولى ولم تلبث حتى تطهرت بدخول الانجيل
فصارت مدينة مسيحية كما يخبرنا الكتاب اعمال ٢١
٣٠ وفى ايام الصليبيين كانت مزهرة زاهية جدا
الى ان خرجوا سنة ١٢٩١ وخربت خرابا كاملا لم
يزل يتزايد الى يومنا هذا فما كان فيها من القصور
قد صار بدله خصوص حقيرة وصيادو السمك صاروا
يبيتون فى الخادع التى كانت سابقا مشتملة على
خزاين اموال الدنيا وقد تعطلت ميناها حتى لا يكاد
يسلك فيها الا قليل من القوارب ولكن من العجايب
ان البحر قد احترم رصيف صور ولم يجر عليه بل وسعه
وقلبه برزخا ولسانا مع ان عادته بان يفنى على ممر
الايام اعمال البشر ولم تزل فى صور اثار قديمة من

اعمدة واقنية عظيمة تحت الارض وابنية مردومة في شرقيها
اثار الكنيسة التي كرسها اوسابيوس اسقف قيصرية
وصاحب التاريخ الكنايسي وبالاجمال نرى ان هذه
المدينة لايبعد اندثارها لان الرمل المتراكم عليها ربما
يطمها على مرور الايام .

الفصل الحادي عشر

صيدا

وعلى مسافة يوم الى جهة الشمال من صور مدينة
صيدا وهي صيدون القديمة التي بناها صيدون بن كنعان
بن حام بن نوح نحو سنة ١٩٠٠ للخليقة وكانت من اعظم
المدن الفينيقية وقد احتملت مثل جيرانها تقلبات كثيرة
ونكبات وفيرة فاخذها شلمناصر نحو سنة ٧٢٠ قبل
المسيح وسلبت الاسكندر سنة ٣٣٢ ق م ثم تداولتها
ملوك مصر وسورية والرومانيين والمسلمين ثم الافرنج
في سنة ١١١١ ثم سلبت للملك صلاح الدين الايوبي
سنة ١١٨٧ ثم ملكوها ايضا في نحو ١١٩٧ بعد الحروب
مع الملك العادل وتركوها بعد الحرب مع الملك الاشرف

الذى استفتح عكا فى سنة ١٢٩١ وتملكتها وبقيت في
حال الخراب الى اوايل الجيل السابع حينما اخذ الامير
فخر الدين المعنى باقامة ابنية لها وكان لها تجارة واسعة
ولكنها الان تحولت الى بيروت وهى الان منحطة عن
عظمتها الاولى حقيرة ملتوية الاسواق ضيقتها ولم يزل
بها كثير من اثار الابنية القديمة ولاسيما بقايا مينـاها
الجليلة التى لم تزل كانها صخور طبيعية حيثما عملت
لوقاية المراكب التى اشتهر بها اهل فينيقية ومنها يستدل
ان صيدا لم تزل فى مركزها الاصلى مع كلما جرى
عليها من التقلبات ولا ريب ان هذه المينا اذا اتجه اليها
الالتفات تصلح لان تكون ملجا منيعا الى عدد عظيم
من السفاين بايام الشتا لايمائله شط بهذ البلاد والى
ناحية الجنوب من المدينة على نصف ساعة توجد بقايا
برج يسمى المنطره يظن انه كان احد هياكل عشتروث
وقد وجد به صنم صغير من الاصنام المصريه ومن هذا
ظهر ايضا انه صار اخيرا معبدا للبطليموسيين ويظن
ايضا ان مقام مار الياس القايم على جبل شرقى صيدا
وقلعة المستعزة كانا هيكلين قديمين للاصنام لانهم وجدوا

بهما ابنية قديمة من النوع الفينيقي وقد ظهر في اراضيها
في هذه السنين الاخيرة كثير من الاثار من اقنية
وبنايات ومسكوكات ولحود وعواميد وناووس وغير ذلك
ففي سنة ١٨٤٣ وجد في بستان يسمى بستان البوبو
ناووس من الرخام عليه تصاوير نافرة جميعها اشخاص
كانها في معمعة حرب بعضها على الخيول وبعضها
على الاقدام وهي كاملة التشخيص بنوع بليغ على هيئة
رومانية وقد كانوا اخرجوا غطا ذلك الناووس قبل
عامين وكان عليه صورة امراة ورجل نائمين احدهما
يحضن الاخر وقالوا انهم كسروه ولم يبق له من اثر
وفي شهر كانون الاول سنة ١٨٥٣ وجد بستان اخر
يسمى بالدوبدر حيثما كانوا يحفرون الارض ثلاث قلل
من الرصاص كان بهم مسكوكات ذهبية فاخفتها الفعلة
واقتسمتها بين عشرة رجال لكل رجل ٤٣ وبين ستة
بنات لكل بنت ٢٣ وحينئذ قدم صاحب البستان
الشكوى وللحال تحصل المبلغ من الفعلة وكانت السكة
سكة فيلبس ملك مكدونيا وسكة ولده الاسكندر وكان
وزن الواحد مثقالين الا ستة قراريط واما سكة فيلبس

ملك مكدونيا وسكة ولك الاسكندر وكان وزن الواحد
مثقالين الا سنة قراريط فاما سكة فيلبس فكانت من
الناحية الواحدة صورته ومن الاخرى مركبة بواسين
من الخيل ومكتوب عليها اسم الملك باليونانيه واما
سكة اسكندر فكان عليها من الجهة الواحدة صورته
وعلى راسه الخودة ومن الجهة الثانية صورة الهة مختلفة
فبعضها ملاك ذو جناح وبعضها راكع على ركبتيه
وبيده عصا ام نشاب وفي ١٩ كانون الثاني سنة ١٨٥٤
ظهر ناووس عظيم وكان محفورا عليه اثنان وعشرون
سطرا باللغة الفنيقيه فسرها احد العلما فكانت

. في شهر بول في السنة الرابعة عشرة توفي ملك
الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين ابن الملك تبنيث
ملك الصيدونيين . قال الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين
اني قد حملت قد ابتلعت في مدفني انتهت المشقات
في رواقي وانا راقد في حضيرتي وقبري في موضع قد
بنيته ودعاءي مع دعا كل الممالك هي ان لا يفتح
احد موضع راحتي ولا يطلع داخل موضع رقادي
كيف حالة البشر في محل نومي ولا ينزع حايط مكان

راحتى ولا يرفع ما داخل موضع راحتى ان دخلت
موضع راحتى وان كنت انسانا الحاكم الاعلى ايل فلتسمع
دينونة من كل الممالك والذى يفتح مدخل مكان
راحتى والذى يفتح محيط مراحى والذى يرفع ما
داخل مراحى فلا يكن له راحة بين الجبابرة ولا يدفن
فى قبر ولا يكن له عقب وليكن له شر فى الموضع السفلى
ومن عصا فليدن من الالهة المقدسين ومن المملكة
بواسطة السلطة العظمى لابن ملك الصيدونيين على
الممالك من فتح مدخل موضع راحتى من رفع
حايطى فليختبر فى نفسه صحة هذا القول ليست من
فعل لا بعد له حقل راحة لذيذة بين معالى النور بين
العايشين تحت الشمس مثل راحتى . قد جلست قد
ابتلعت فى مدفنى انتهت المشقات فى زواتى انا
اشمونعيد ملك الصيدونيين ابن الملك تبنيث ملك
الصيدونيين ابن ابن الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين
وامى معشتورث كاهنة عشتورث سيدتنا وملكتنا ابنة
الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين. ها قد بنينا بيت
الالهة بيت حكم البر والمجد وشيدنا بيت عشتورث

فليتعالى اسم النور نحن الذين بنينا بيت امى رحبا غنيا النور على الاكمة وبنينا مقامى ليتعالى اسم النور وبنينا الهياكل لالهة الصيدونيين فى صيدا البر والبحر هيكل بعل صيدون وهيكل عشتورث ليتعالى اسم بعل حتى يعطينا رب الملوك فخر اللذة والحسن بلاد سور جنة الساحل قد امتلكنا المحاصن التى صنعت لاجل سرانوس وزدناها قلاع اطراف البلاد لحماية الصيدونيين الى الابد .

وفى سنة ١٨٥٥ ظهر ناووسان بهيئة واحدة لم تكن عليهما كتابة قط وكانا من الرخام الابيض الايطالياني وعلى الغطا صورة راس لحد الاكتاف وقد ظن البعض ان الصورة صورة عشتروث وعلى الراس مثل شريطة حمرا كانها عصابة ملكية وعلى الاكتاف مثل ثوب الاحبار او القسس

وفى شهر شباط سنة ١٨٥٩ ظهرت قلة صغيرة بها مسكوكات من النحاس نحو ٢٥٠ مكتوبة باللاتينيه وعليها صور مختلفة بعضها صورة الاثنى عشر برجا وبعضها صورة هياكل وبعضها صور الهة للوثنيين وجميعها محرر

سوريه راعينا ان نختم كلامنا بذكر بعض الاثار التى
وجدت فى مدينة بيروت وقبل ذلك يجب ان نقول
ان هذه المدينة القديمة كانت فى عهد الرومانيين بغاية
الجمال والرونق وكانت تسمى مرضعة الفقه لانها قد
اشتهرت بمدرستها العظيمة وقد سماها الملك اوغسطس
قيصر جوليا فيلكس على اسم ابنته وزينها الملك اغريبوس
بالحمامات والمراسح للملاعب وللحيوانات لم يزل اثار
بعضها موجودا الان كالمكان المعروف بخان الصياغة
على شط البحر بقرب مينا الحسن فان شكله وهيئته
ورسومه تظهر انه كان الامفى تياترو الذى كان بهذه
المدينة للملاعب الحيوانات وقد وجد كثير من الحجارة
العظيمة والاعمدة والنواويس المنقوشة والمصورة من
الرخام وغيره وقواعد مكتوبة باليونانية ولم تزل على
باب الدركة عتبة عليا يظهر انها كانت لباب غيره
منقوش عليها كلمات يونانية تفسيرها . ايها الداخل
بهذا الباب افتكر بالرحمة . ووجد لدى بعض ابوابها
اقنية طويلة فى صخر شديد الصلابة يمشى بها الرجل
الطويل وكان ذلك فى سنة ١٢١٢ للهجرة فتتبعها حضرة

صاحب الدولة وجيه باشا رئيس العين المعروفة بالجديدة
امام باب يعقوب

وبجانب باب الدركة تجد عواميد قايمة وبجانبهما
مطروحة الى الارض فى المقام المعروف بالرجال الاربعين
يظن انها مكان المجلس الاعلى الذى كان يقام فى بيروت
فقد قال يوسف انه عقد مجمع عام على هيرودس فى
بيروت

وعند جسر نهر الكلب تجد صخورة منقورة على شكل
الابواب على بعضها صور سوزستريس ملك مصر ثلاثة
من جنوده كان ذبحهم تقدمة الى اله الاسرا حينما
غزا اسيا الصغرى وسوزستريس هذا هو الذى
افتتحت به الدولة التاسعة عشر فى مصر سنة ١٦٤٣ قبل
المسيح وهو ابن امونوفى فرعون الذى تتبع بنى اسرائيل
فى البحر الاحمر وعلى بعضها كتب ترجمانيوس قيصر
كلمات باللاتينية تفسيرها انهت الطريق المعلقة بالصخور
وهناك ايضا كتب جعفر بن فلاح تاريخ مروره عليها
وكان قد جهزه المعز ابو تميم معد بن المنصور صاحب
افريقية مع جوهر القايد لفتح الديار المصرية فلما اخذ

مصر بعثه جوهر الى الشام فغلب على الرملة فى ذى الحجة
سنة ٣٥٨ للهجرة ثم ملك دمشق فى المحرم سنة ٣٥٩

BIBL.
SOCIETIEN.
GERM.

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4171/fragment/page=00000061

BIBL.
SOCIORIEN.
GERM.

VII A 52 B

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4171/fragment/page=00000062

2257

ULB Halle
001 081 306
3/1

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4171/fragment/page=00000065

De 5171

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-4171/fragment/page=00000066